

تجارة النحاس بين دلمون وبلاد الرافدين خلال الالف الثالث قبل الميلاد
Copper trade between Dilmun and Mesopotamia during the
millennium BC

م.م. لانا محمد معيوف محمد

جامعة الموصل، كلية الآداب، قسم التاريخ

ana. mayoof@uomosul.edu.iq

<https://orcid.org/0009-0008-5690-024X>

Lana Mohammed Mayouf Mohammed

Academic title: Assistant Lecturer

University of Mosul, College of Arts, Department of History

أ.د. سالم يحيى الجبوري

جامعة الموصل، كلية التربية للعلوم الإنسانية - قسم اللغة السريانية

Email: salimaljuboori@uomosul.edu.iq

Orcid: <https://orcid.org/0000-0003-2759-8156>

Researcher: Salem Yahya Al-Juboori

Academic title: Professor

University of Mosul – College of Education for Humanities – Department
of Syriac Language



This work is licensed under a [Creative Commons Attribution
4.0 International License](https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

المخلص:

تبيّن من خلال هذه الدراسة أن تجارة النحاس بين دلمون وبلاد الرافدين خلال الألف الثالث قبل الميلاد شكّلت أحد أهم أوجه النشاط الاقتصادي في منطقة الخليج العربي والشرق الأدنى القديم. فقد أسهم الموقع الجغرافي المميز لدلمون في جعلها مركزاً تجارياً وسيطاً بين مناطق إنتاج النحاس في مجان وبلاد الرافدين التي افتقرت إلى الموارد المعدنية، مما عزز مكانتها الاقتصادية ودورها الإقليمي..

وأظهرت النصوص المسمارية السومرية والأكدية بوضوح وجود علاقات تجارية منظمة بين الطرفين، حيث ورد ذكر دلمون بوصفها مصدرًا للنحاس وبلادًا غنية ونقية، الأمر الذي يعكس أهميتها في الذهنية الاقتصادية والسياسية لمدن بلاد الرافدين. كما تؤكد المكتشفات الأثرية، ولا سيما أفران صهر النحاس، على تطور المعرفة التقنية في مجال التعدين والصحراء، وقدرة المجتمعات المرتبطة بدلمون على التعامل مع المواد الخام وإعادة تصنيعها أو توزيعها.

كما أن تطور صناعة السفن والملاحة البحرية كان عاملاً أساسياً في إنجاح هذه التجارة، إذ أتاح نقل النحاس عبر الخليج العربي بانتظام، وأسهم في توسيع شبكات الاتصال التجاري. ولم تقتصر آثار هذه العلاقات على الجانب الاقتصادي فحسب، بل أدت إلى تبادل ثقافي وحضاري تجلّى في انتقال الخبرات التقنية، وبعض المظاهر الفنية والتنظيمية بين دلمون وبلاد الرافدين. وبذلك تؤكد الدراسة أن تجارة النحاس كانت عنصراً محورياً في تعزيز الترابط الحضاري بين المنطقتين خلال الألف الثالث قبل الميلاد.

الكلمات المفتاحية: التجارة، دلمون، السفن النصوص المسمارية النحاس

Abstract

This study highlights the critical role of copper trade in the economic and cultural relations between Dilmun and Mesopotamia during the third millennium BCE. Owing to its strategic location, Dilmun acted as a key intermediary between copper-producing Magan (modern Oman) and metal-deficient Mesopotamia, contributing significantly to regional trade networks. Sumerian and Akkadian texts consistently identify Dilmun as a source of copper and a land of prosperity and ritual purity. Archaeological evidence, such as copper-smelting facilities, indicates that Dilmun engaged not only in trade but also in copper processing and redistribution.

Advancements in maritime technology enabled sustained Gulf trade, facilitating the flow of goods and fostering the exchange of metallurgical knowledge, nautical skills, and administrative practices. Thus, copper trade served as a foundation for both economic integration and cultural interaction in the ancient Near East.

Keywords: Trade; Dilmun; Ships; Cuneiform Texts; Copper

المقدمة:

تناول البحث دراسة تجارة النحاس بين دلمون وبلاد الرافدين خلال الألف الثالث قبل الميلاد، بوصفها إحدى أهم شبكات التبادل الاقتصادي في الشرق الأدنى القديم، لما كان للنحاس من دور محوري في تطور الصناعات المعدنية والاقتصاد الحضري في حضارات العصر البرونزي المبكر العصر الذي بدأ فيه الإنسان استخدام البرونز وهو خليط من النحاس والقصدير.

ونظراً لتلك الأهمية بدأنا بتحديد السياق الجغرافي لدلمون والتي تم مطابقتها في الدراسات الحديثة مع جزر البحرين وساحل شرق الجزيرة العربية. ولما تتمتع به دلمون من موقع استراتيجي مميز في الخليج العربي، جعلها حلقة وصل تجارية بين بلاد الرافدين من جهة، ومناطق إنتاج النحاس في عُمان (مجان) من جهة أخرى، الأمر الذي أسهم في ازدهارها كمركز تجاري بحري.

فالنحاس بوصفه السلعة الأكثر رواجاً وطلباً تم التركيز عليه كعنصر مهم في الاعمال التجارية الأساسية، إذ كانت بلاد الرافدين تفتقر إلى هذا المعدن فضلاً عن مصادر معدنية محلية، مما جعلها تعتمد على الاستيراد الخارجي. وقد لعبت دلمون دور الوسيط في نقل النحاس الخام أو شبه المصنع من مجان إلى مدن سومر وأكد، لاستخدامه في صناعة الأدوات، والأسلحة، والأواني، والتماثيل.

يستعرض البحث النصوص المسمارية التي وثقت العلاقات التجارية والتي تضمنت في محتواها جوانب التنظيم الاقتصادية والإدارية التي وردت بلاد دلمون كمصدر للنحاس ومركز تجاري مزدهر وغني، حتى اكتسبت بعداً رمزياً في الأدب السومري. أما أفران صهر النحاس المكتشفة في مناطق مجان ودلمون المستخدمة في صهر المعادن ماهي دليل ألا على التقدم التقني والمعرفة الحرفية لدى مجتمع الخليج العربي آنذاك، فضلاً عن دور دلمون في إعادة تصدير ذلك النحاس بعد معالجته أو تخزينه.

وكان لصناعة السفن دور أساس في ترويج تلك البضائع المصنعة وإسباً في انشاء الملاحة البحرية قديماً، باعتبارها عنصراً أساسياً في إنجاح هذا النشاط التجاري، إذ تشير الأدلة الأثرية والنصية إلى تطور صناعة السفن في الخليج العربي، وقدرة دلمون على تنظيم الرحلات البحرية وتأمين طرق التجارة بين المراكز الحضارية.

تتمثل إشكالية هذا البحث في محاولة الإجابة عن تساؤلات رئيسة من ابرزها : كيف أسهمت دلمون في تنظيم وتسهيل تجارة النحاس بين مجان وبلاد الرافدين ؟ وما الدور الذي لعبته الملاحة البحرية وصناعة مناطق إنتاج النحاس في مجان وبلاد الرافدين، إضافة إلى التساؤل حول مدى إسهام الملاحة البحرية وصناعة السفن في دعم هذه الشبكة التجارية؟ وإلى أي مدى عكست هذه التجارة مستوى التطور الاقتصادي والتقني في منطقة الخليج العربي خلال الألف الثالث الميلادي؟.

أما سبب اختيار هذا الموضوع فيعود إلى الأهمية التاريخية والاقتصادية لتجارة النحاس في حضارات العصر البرونزي المبكر، وإلى إبراز الدور الحضاري لدلمون في شبكات التبادل التجاري في الشرق الأدنى القديم، فضلاً عن الرغبة في تسليط الضوء على مساهمة منطقة الخليج العربي في تاريخ الملاحة والتجارة القديمة، وهو جانب لم يحظَ بالاهتمام الكافي في كثير من الدراسات.

السياق الجغرافي والتاريخي لحضارة دلمون:

تُعد التجارة أحد الركائز الأساسية التي قامت عليها اقتصاديات منطقة الخليج العربي منذ العصور القديمة، بما في ذلك تجارة المواد المحلية المنتجة وكذلك ما يُعرف بـ"تجارة الترانزيت"، أي مرور السلع من مناطق الإنتاج إلى مناطق الاستهلاك عبر الخليج. وقد ساعدت الخصائص الجغرافية لمياه الخليج العربي على جعله ممراً مائياً مثالياً لوسائط النقل البحري القديمة، مما أكسبه أهمية استثنائية في تاريخ الحضارات القديمة. فقد كان الطريق المائي الوحيد الذي أتاح لحضارة بلاد الرافدين الاتصال بالعالم الخارجي، لذلك عرفه سكان جنوب العراق واستخدموه منذ مراحل مبكرة في التاريخ، وانخرطوا في أعمال تجارية مع المراكز الواقعة على سواحلهم، سواء لاستيراد السلع المتوفرة فيه، أو تلك التي كانت تُنقل إليه من مناطق أبعد (الهاشمي، ١٩٨١، ص ٨٤).

تشير المصادر السامرية إلى أن منطقة الخليج العربي كانت تحتضن ثلاثة مراكز تجارية كبرى ارتبطت بعلاقات مباشرة مع بلاد الرافدين، وهي: دلمون ومجان ومليوفا (بوتس، ٢٠٠٦، ص ٢٤٦) ومن بين هذه المراكز تبرز دلمون باعتبارها الأكثر حضوراً في النصوص السومرية والأكدية، لا سيما تلك التي توثق التبادلات التجارية والدبلوماسية. وقد قامت حضارة دلمون في جزيرة البحرين وامتد نفوذها إلى شرق شبه الجزيرة العربية، وهي منطقة عُرفت في النصوص الرافدينية القديمة بأسماء رمزية مثل "أرض الفردوس" و"أرض الخلود"، ويُقدّر أنها ازدهرت كمركز حضاري وتجاري منذ نحو خمسة آلاف سنة، يمتد نطاق دلمون الجغرافي على طول الساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية، وهي منطقة تحيط بها المياه من جميع الجهات تقريباً، ما جعل منها محوراً بحرياً استراتيجياً بين حضارات وادي السند في الشرق (مليوفا)، وبلاد الرافدين في الشمال، وصولاً إلى وادي النيل غرباً. هذا الموقع الجغرافي أكسب دلمون أهمية كبرى بوصفها محطة وسيطة لإعادة توزيع الموارد الطبيعية، لاسيما المعادن، والأخشاب، والصخور، التي كانت تُصدّر إلى مراكز بلاد الرافدين التي كانت تحتاج إليها (Cornwall, 1952, p140)

وقد ورد اسم دلمون في العديد من النقوش السومرية والبابلية والآشورية، حيث وُصفت كميناء هام تتوقف فيه السفن العابرة للخليج العربي. وكان هذا الميناء مركزاً نشطاً لتبادل السلع من وإلى حضارات الرافدين والهند، إذ تُذكر فيه تجارة النحاس، والصوف، والذهب، والعاج، والأخشاب النادرة، والأحجار

الكريمة. كما تشير بعض النصوص السومرية إلى أن دلمون كانت مصدرًا لسفن محملة بالزيت، ما يعكس اتساع نطاق تبادل السلع وتنوعها، ويظهر بوضوح الموقع المحوري الذي شغلته دلمون في النظام التجاري للشرق الأدنى القديم. ويُعد أقدم توثيق تاريخي لعلاقة دلمون مع جنوب بلاد الرافدين، ما ورد في نص يعود إلى الملك أور-نانشه، حاكم مدينة لجش نحو عام ٢٥٢٠ ق.م، وهو من أوائل الملوك الذين أشاروا إلى دلمون بوصفها جهة تجارية نشطة. فقد ورد في أحد نصوصه:

"إن سفن دلمون جلبت له الخشب كجزية من بلاد أجنبية" (رشيد، ١٩٨٨، ص ٤٣)

تشير الدراسات الأثرية والنصوص الاقتصادية إلى أن النشاط التجاري في جنوب بلاد الرافدين، ولا سيما في مدينة لجش، اتسم بدرجة عالية من التنظيم والانتشار، حيث شارك فيه كل من التجار والحكام على حد سواء.

فقد كانت ترسل بعثات بحرية منتظمة إلى منطقة دلمون، محملةً بمنتجات محلية متنوعة كالحبوب والزيوت العطرية، يتم تبادلها مقابل النحاس، وهو المعدن الأهم لصناعة الأدوات والأسلحة في تلك المرحلة. وتوثق هذه النشاطات الاقتصادية نصوص مسمارية عديدة محفوظة في أرشيف المعابد، مبيّنةً المسارات التجارية من كرسو (تلو) إلى سواحل الخليج العربي، ما يعكس شبكة بحرية فاعلة تربط بلاد سومر بسواحل الخليج العرب (نيكولاس، ١٩٩١، ص ٧٤)

وفي هذا السياق، تقدّم النصوص الملكية الخاصة بسلالة لجش معلومات مهمة عن عمق هذا النشاط. حيث يرد في أحد نصوص الملك جوديا، والذي يُعد من أبرز حكام لجش في أواخر الألف الثالث قبل الميلاد، ما يفيد بعلاقته الوثيقة مع دلمون، حين قال:

((هو جوديا عين من قبل الاله ننراكا نينزك انزك دلمون الذي نقل النحاس بوفرة تعادل شحنات الحبوب لباني المعبد جوديا)) (ال ثاني، ١٩٩٧، ص ٨٣)

ويمثل هذا النص الملكي دليلاً على ما بلغته العلاقات الاقتصادية بين بلاد الرافدين ودلمون من تطور وتكامل وظيفي. إذ كان المعبد في لجش يلعب دوراً مركزياً ليس فقط في النشاط الديني، بل في إدارة حركة التبادل التجاري مع موانئ الخليج، ولم يتوقف هذا النشاط عند حدود سلالة لجش، بل استمر بزخم متزايد في عهد سلالة أور الثالثة. ويُعدّ نص إداري مسماري مؤرخ بالسنة الثانية والرابعة من حكم الملك (أبي سين) (٢٠٢٨ - ٢٠٠٤ ق.م، آخر ملوك هذه السلالة، نموذجاً حياً على استمرارية هذا التوجه الاقتصادي. فنقرأ في نصوص تعود الى فترة حكمه:

" خمسة ثياب من نوع guzza ، وخمسة أخرى من نوع usbar ، وخمسة نوع Usbar من النوعية الجيدة من اور شولكيرا، ٢ و ٣ وزنة ، طالنت من الصوف المرزوم ؟ من المخزن جميعها استلمها لو - انليل لأغراض شراء النحاس ، من ماجان لحساب معبد الاله ننار المسؤول الإداري"

أرخ الكاتب النص في شهر اذار ١٢ من السنة الرابعة من حكم ابي سين في حين ورد لدينا نص آخر يتحدث عن التاجر لو-انليل ذاته وهو يقوم بحمولة من الجلود لغرض بيعها وشراء نحاس من مكان فنقرأ ذلك على النحو الآتي:

" 180 جلدا من اور شولبا ، استلمها لو انليل لأغراض شراء النحاس لحساب معبد ن نار، وقد أورخ النص في شهر اذار ١٢ من السنة الثانية من حكم ابي سين مختوم بختم ليبور بيلي " . يفهم من كلا النصين أن هناك عملية تسليم كمية من الثياب الفاخرة من نوع Guzza و Usbar ، إضافة إلى أصواف مرزومه تُقاس بوحدات الطالنت، من المخزن المركزي إلى التاجر لو-انليل، وذلك لأغراض شراء النحاس من منطقة ماجان التي تُطابق (عُمان) حالياً، لحساب معبد الإله ن نار في أور. ويُشير ذكر الإشراف الإداري لشخص يُدعى دايا، وختم المسؤول ليبور -بيلي، إلى وجود نظام محاسبي دقيق وتوثيق رسمي للعمليات التجارية وانخراطها في شبكة تجارية دولية تمتد عبر الخليج العربي، مما يؤكد حيوية اقتصاد الدولة في نهاية الألف الثالث ق.م، ويبرهن على قوة مؤسساتها في ضبط حركة الموارد وتوجيهها نحو الصناعات الحيوية، كالسبك والنحاس، المرتبطة بالبنية التحتية للسلطة والمعابد . وقد أُشير إلى أن هذه المواد نُقلت على متن سفينة مخصصة لحاويات المشتريات، ما يدل على وجود وسائل نقل بحرية مُهيأة ومُخطط لها سلفاً في النظام الإداري السومري. (المتوالي ، ١٩٩٤ ، ص ٣٠٤ - ٢٠٥)

السياق الديني والثقافي لدلمون:

لم تكن دلمون مجرد مركز تجاري، بل ارتبطت أيضاً بتصورات دينية وأسطورية عميقة في فكر سكان بلاد الرافدين. فقد ورد ذكرها في أسطورة جلجامش باعتبارها أرض الحياة الأبدية، التي سافر إليها البطل جلجامش بحثاً عن الخلود، ووصفتها الأساطير السومرية بأنها الملئقى المفضل للآلهة. ويُستدل على هذه المكانة الدينية من ترنيمة سومرية تعود إلى الألف الثاني قبل الميلاد جاء فيها:

"باركها الإله إنكي، إله المياه العذبة، أرض دلمون مقدسة ، أرض دلمون نقيه ، أرض دلمون نظيفة" هذا التوصيف المتكرر، الذي يجمع بين القداسة، والنقاء، والطهارة، يعكس كيف كانت دلمون تُنظر إليها بوصفها موضعاً مختاراً إلهياً، وترتبط بحماية الإله إنكي، ما يعزز موقعها في المخيلة الدينية السومرية. فهي لم تكن فقط محطة اقتصادية، بل رمزاً للصفاء والخلود في النصوص ذات الطابع الروحي. وتؤكد هذه النظرة أسطورة إنكي ونخرساک، المعروفة أيضاً بـ"أسطورة الفردوس"، التي تصف دلمون بما يلي: "إن دلمون أرض نظيفة، لا ينغق فيها غراب، وأسودها لا تفترس، وذئبها لا تأكل الحمل. أرضها خالية من الآفات والحيوانات المفترسة، وإنسانها لا يعرف المرض ولا الشيخوخة" (karmar 1963.p110).

إن هذا التصوير يضع دلمون في إطار أسطوري-مثالي، يُجسّد نموذجًا لأرض الطهارة والنقاء، ويعبّر عن حالة من التوازن الكوني، حيث تغيب معالم الفساد والموت، وتعلو فيها القيم الإلهية والطمأنينة، لتصبح رمزًا لعالم ما قبل الخطيئة أو العصر الذهبي في الفكر الرافديني (الهاشمي، ١٩٨٠، ص ٢٠). وفي قصيدة أخرى بعنوان "إنكي ونظام العالم"، نجد بعدًا اقتصاديًا يبرز من خلال وصف دلمون كمركز لوجستي نشط:

"بلاد دلمون ومكان، توجهت بأبصارها إلى إنكي، وملئت قوارب دلمون وحملت قوارب مكان بكل سعتها،

ونقلت القوارب الذهب والفضة من مليوفا، إلى نفر لأجل إنليل سيد جميع البلاد (karmar) (1963.p114).

هذا النص يُبرز الدور الوسيط الحيوي الذي لعبته دلمون في ربط مناطق إنتاج المعادن مثل الذهب والفضة في مليوفا بمراكز الاستهلاك في بلاد الرافدين، خصوصًا مدينة نفر، ذات الطابع الديني والسياسي. ويشير إلى وجود منظومة تجارية متكاملة تشمل سفنًا مخصّصة، وموانئ منظمة، وعلاقات دبلوماسية تربط بين القوى الاقتصادية والدينية.

كما نجد أن التجار قد اقاموا ممارسات دينية ب في معبد الآلهة نكال كطقوس شكر للآلهة بعد عودتهم من رحلاتهم البحرية إلى دلمون، في صورة نذور أو ضرائب صغيرة من الذهب والنحاس والأدوات المعدنية، بالإضافة إلى سلع ثمينة مثل اللازورد والعاج والأخشاب، وخرز الأحجار الكريمة (Oppenheim, 1954, p7). ويبدو أن هذه التجارة كانت مؤسسية ومنظمة، تخضع لنظام إداري ديني متكامل. أما في الجانب الثقافي، فقد أفضت هذه الصلات التجارية والروحية إلى تفاعل حضاري واسع، انعكس بوضوح في الفنون الدلمونية، ولا سيما في فن الأختام. إذ تظهر بصمات التأثير الرافديني بشكل لافت في عدد كبير من الأختام المكتشفة في دلمون ومجان، خصوصًا تلك التي تعود إلى عصور السلالات المبكرة، والعصر الأكدي، وسلالة أور الثالثة، وحتى العصر البابلي القديم. وقد شملت هذه التأثيرات مشاهد معروفة في الفن الرافديني، مثل طقوس التقديم والعبادة أمام الآلهة أو الملوك، وصور الصراع الأسطوري، ورمز "الرجل الثور"، والتاج الإلهي ذي القرنين، وغيرها من العناصر الرمزية (بيبي، ١٩٨٥، ص ١٧٢). إلا أن دلمون لم تكن مقلدة تمامًا، بل مارست درجة من الانتقاء الواعي، حيث أعادت توظيف هذه الرموز في سياقاتها المحلية، وهو ما يدل على حيوية التبادل الثقافي وفاعليته. وقد تأكد هذا التداخل الديني والثقافي أيضًا فيما كشفت عنه الدراسات الحديثة للكتابات المسماة في كل من دلمون وجزيرة فيلكا، والتي تذكر الآلهة إنزاك وقرينته نيسيكلا، وكلاهما من أصول رافدينية، إذ يُعدّ إنزاك في بعض النصوص معادلًا للإله إنكي. وقد ظهر هذا الثنائي الإلهي بوضوح في النقوش، لاسيما في

دلمون، وارتبط إنزارك تحديداً بإدارة النخيل، مما يُظهر تكيف المعتقدات الدينية مع المحيط البيئي والاقتصادي المحلي، (الصفدي، ١٩٩٥، ص ٢٤٦).

وهذا يؤكد أن دلمون شكّلت نموذجاً فريداً في التاريخ الحضاري القديم، حيث تماهى فيها الرمزي بالديني، والروحي بالاقتصادي، والمقدّس بالعملي، في إطار شبكة تفاعلية عميقة بين بلاد الرافدين ومنطقة

الخليج، جعلت من دلمون ملتقى للثقافات، ومرآة لروح العصر .

النحاس وطرق التجارة البحرية :

يُعدّ النحاس من أقدم المعادن التي تعرّف عليها الإنسان واستثمرها في أنشطته الصناعية، إذ يوجد في الطبيعة على هيئة مركّبات معدنية متعددة، من أبرزها الكربونات والسيليكات والأكاسيد. وتشير الأدلة الأثرية إلى أن استخدام النحاس يعود إلى مرحلة مبكرة جداً تصل إلى الألف الثامن قبل الميلاد، حيث اكتسب هذا المعدن أهمية متزايدة في الصناعات اليومية نظراً لانخفاض درجة انصهاره مقارنةً بغيره من المعادن، فضلاً عن قلة مساميته المعدنية، الأمر الذي جعله ملائماً لعمليات التشكيل والصب في المراحل الأولى من تطور التقنيات المعدنية (Lucas, 2021, p 1). وقد تمثلت طرائق الحصول المبكرة على النحاس في جمعه من سطح التربة على هيئة كتل خام مختلطة بالرواسب والشوائب، وهو ما عكسه النصوص السومرية التي وصفته بأنه خليط من التراب والنحاس وتُظهر الشواهد الأثرية والنصوص المسمارية أن السومريين تمكنوا من صهر النحاس منذ فترة جمدة نصر، في أواخر الألف الرابع قبل الميلاد، حيث كانت تقنيات الصهر في مراحلها الأولى بسيطة نسبياً، ولم تتطلب درجات حرارة مرتفعة؛ إذ كان الخشب وجذوع الأشجار كافيين لتوفير الحرارة اللازمة لعملية الصهر قبل تطور الأفران المعدنية المتخصصة في الفترات اللاحقة (المتولي، ٢٠٠٧، ص. ٢٨٤).

وقد شكّل هذا التطور خطوة حاسمة في توسيع استخدام النحاس وتحويله من مادة خام محدودة الاستعمال إلى عنصر أساسي في الصناعات الحرفية والعسكرية والطقسية.

ومع دخول الألف الثالث قبل الميلاد، أصبحت بلاد الرافدين تعتمد على شبكات تبادل تجاري واسعة لتأمين احتياجاتها المتزايدة من النحاس، سواء عبر الطرق البرية أو البحرية. فقد جُلب النحاس براً من مناطق جبال زاكروس، في حين لعبت الطرق البحرية دوراً محورياً في استيراده من مناطق الخليج العربي، ولا سيما من دلمون وماجان وميلوخا. وقد برزت دلمون، بوصفها مركزاً تجارياً وسيطاً بالغ الأهمية، يربط بين بلاد الرافدين وعمان ووادي السند، بينما عُدت ماجان عُمان حالياً المصدر الرئيس لخامات النحاس في تلك المرحلة (Lucas, 2021, p3؛ طه، ١٩٩٢، ص ٣٨)

وخلال فترة لارسا، تشير التقديرات إلى أن مئات الكيلوغرامات من النحاس كانت تصل سنويًا إلى جنوب بلاد الرافدين، وهو ما يعكس حجم الطلب المتزايد على هذا المعدن وأهميته المتنامية في البنية الاقتصادية للدولة.

وقد نُفذت عمليات نقل النحاس في هذه المرحلة أساسًا بواسطة القوارب الدلمونية، بينما جرت المعاملات التجارية وفق نظام دقيق يعتمد معيار الوزن. وتكشف نصوص مسمارية من مدينة أور، مؤرخة إلى فترة لارسا 1753 - 2025 ق.م، تفاصيل واضحة عن آليات تجارة النحاس مع دلمون، حيث تُظهر تبادل الفضة والزيت والمنسوجات مقابل النحاس، بما يؤكد الطابع المؤسسي والمنظم لهذا النشاط الاقتصادي، وتشير النصوص الاقتصادية والأدبية إلى أن نحاس ماجان كان الأكثر حضورًا في الوثائق السومرية، الأمر الذي يعكس مكانة ماجان بوصفها المصدر الرئيس للنحاس بالنسبة لبلاد الرافدين. ففي عصر فجر السلالات، سُجلت شحنات نحاسية تصل إلى نحو مئة كيلوغرام في المرة الواحدة، وهو ما يرجح أن شهرة نحاس ماجان في الألف الثالث قبل الميلاد تعود، إلى حد كبير، إلى سهولة نقله بحرًا مقارنة بالقوافل البرية (Potts, 1994,p147)

استعمالات النحاس :

خلال الألف الثالث قبل الميلاد، لعب النحاس المستورد من دلمون دورًا محوريًا في الاقتصاد السياسي والاجتماعي لجنوب بلاد الرافدين. في المرحلة المبكرة من تجارة الخليج، كان النحاس يُستورد أساسًا كسلعة فاخرة تُستهلك في صناعات الحياة اليومية، حيث استخدم في إنتاج الأشياء الفنية، والأدوات الشخصية، والزينة، والأسلحة، والمعدات الزراعية البسيطة، ما عكس السلطة الرمزية والمكانة الاجتماعية للنخب. مع تقدم العصر السلالات المبكرة وازدياد التجارة عبر الخليج، بدأ النحاس يحل تدريجيًا محل المعدات الحجرية في الأدوات الإنتاجية، بما في ذلك المناجل وغيرها من الأدوات المعدنية، ما أدى إلى توسع الصناعات المعدنية واندماجها في الاقتصاد السياسي الرافديني،.سأهم هذا الاعتماد المتزايد على النحاس في إعادة توزيع السلطة داخل الدولة، إذ عززت المؤسسة سيطرتها على وسائل الإنتاج الزراعي والصناعي، في حين تقلص نفوذ المعابد وبذلك، أصبح النحاس خلال الألف الثالث قبل الميلاد ليس مجرد سلعة فاخرة ، بل ضرورة إنتاجية أساسية، مما يبرز دوره مزدوج الأبعاد: رمزي اقتصادي وإنتاجي،)

(Christopher, 1992,p118-139

كان استعمال النحاس محدودة في البداية الا انه سرعان ما انتشر في المنطقة واصبح شائعًا إذ استعمل في صناعة الاواني والمرايا وصنارات السمك والازاميل والفؤوس والمعازق والخناجر ،وبعد ذلك حدث ابتكار معدن اخر اكثر صلابة ،فبعد مزج مع معدن النحاس مع القصدير وينسب معينة انتج

سبيكة البرونز ،حيث وجدت أدوات عدة مصنوعة من البرونز مثل المزهريات والسيوف والفؤوس (ساكز، ٢٠٠٠، ص ١٨٤).

وسائل نقل النحاس:

كان لازدهار التجارة لمسافات طويلة مع تطور مماثل للسفن بحيث تكون قادرة على عبور مسطحات مائية وحمل كميات كبيرة من البضائع ، يرجع استخدام البحر والملاحة في ربط حضارات العالم القديم واعتبارها وسيلة المواصلات الرئيسية ، وكانت المواصلات البحرية هي ابرز وسائل النقل التي استخدمها الناس للاتصال بالشعوب والثقافات الأخرى القريبة والبعيدة وقد عثر على نماذج اثرية للقوارب تنسب الى الحضارة السومرية ،ظهرت مشاهد لأشكال السفن وهي تسير في الأنهر من اختتام العصر الأكدي (٢٣٧١ - ٢٢٣٠ ق.م) فيتضح من مشهد ختم اسطوانتي صورة الاله شمس وقد جلس على كرسي داخل سفينة يقودها إله ثانوي يمسك بمجذاف كما يظهر في مؤخرة السفينة شكل يمثل رأس تتين أي حيوان خرافي)، هذا وقد ورد ذكر السفن في النصوص المسمارية من عصر الدولة الاكدية، وهي تشير إلى الرحلات البحرية ، ففي نص مسماري من زمن حكم الملك سرجون الاكدي فقد ذكر بان سرجون استخراج الفضة والذهب والحجر الأسود من الجبال عبر البحر الجنوبي في سفن وراسي بها في ميناء نفر ومن المصادر الكتابية المسمارية الدينية ايضا التي تدل على اهمية سفن مكان ودلمون ، فقرات من اسطورة الاله انكي ونظام الكون تذكر:

"بلاد مكان ودلمون،نظرنا الى (أنا) انكي ،وأوثقوا [حبال] سفينة دلمون في الأرض،وحملوا سفينة مكان إلى علو السماء،سفينة ميلوفا الـ (ماجيلوم) كلها تحمل الفضة والذهب ،وتأتي بها إلى (نفر) للإله انليل ملك الاقطار كلها".

ومن النص اعلاه يتبين الحاجة الماسة التي يعاني منها سكان بلاد الرافدين للمواد الأساسية للحاجة لها كالذهب والفضة والنحاس، لذلك فقد اهتم ملوك سلالة اور الثالثة بتوفير مستلزمات صناعة السفن مثل الخشب ومواد الطلاء ، والتي يأتي على رأسها القار ، فقد عمل ملوك الدولة الاكدية على توفير هذه المواد من منشئها وتأمين طرقها التجارية ، (Ricem. 1994,p17)

وقد عرف القار على نطاق واسع في وادي الرافدين لأغراض عديدة فقد استخدم كمادة عازلة تمنع تسرب الرطوبة ، وكذلك تسيع القوارب والسفن ، وقد اشارت نصوص سلالة اور الثالثة الى استخدام القار لتسييع السفن والقوارب ، وذكر نص في كيرسو مؤرخ في السنة التاسعة من حكم شولجي يتضمن تخصيص السمس والقار لتسييع القوارب ، وعرف أنواع من القار منها السائل والجاف والمسحوق والجبلي .(الهاشمي ، ١٩٨١، ص ٤١)

استخدمت هذه القوارب لوظائف مختلفة ، واتخذت اشكالا واحجاما عديدة ، وكانت مصنوعة من مواد متنوعة بما ذلك من القصب و الخشب والحصائر المنسوجة والبيتومين ، وبحلول الالف الثالث قبل الميلاد نلاحظ ازدياد في كمية الأدلة على وجود المراكب المائية وهو ما يتوافق مع التوسع المتزامن للتجارة البحرية لمسافات طويلة في هذه الفترة، حيث كانت أسفار التجار الى دلمون تستغرق فترة طويلة ، وتميزت قوارب التي تعود الى فترة اور الثالثة استخدام القار وشكل القارب يكون في مقدمة طويلة ومدببة ومؤخرة طويلة مدببة وتكون هيكلها مجوف ومجمعة ولها طوافات كان هذا شكلا شائعا في تلك الفترة.

(Author, 2020, p2544-2545)

صهر النحاس:

لم يكتف السومريون بصهر النحاس وتشكيل السبائك بل بدأوا بخلطه مع القصدير لإنتاج افضل أنواع السبائك ، إذ كانت درجة انصهار النحاس تصل الى ١٠٨٤ درجة مئوية وعند إضافة القصدير تنخفض درجة انصهار الى ٩٨٠ درجة مئوية فكان الوصول الى درجة الانصهار المنخفضة والحفاظ عليها عملية سهلت الوصول الى صب المعادن بطريقة أسهل أيضا، مما زادت سهولة الصب من معدل الإنتاج، الأمر الذي أسهم في تسريع نمو صناعة البرونز، وكان للبرونز القصدير ميزة إضافية على النحاس الزرنيخي في قدرته على إعادة الاستخدام ، ونظرا لطبيعة الثمينة فقد إعادة تدوير التحف النحاسية باستمرار فنجد في قوانين اشنونا نص يتحدث عن العمال الذين صنوا أدوات نحاسية للحصاد يشير المشرع أن الصناع يجب أن يعيدوا المعادن على نفس الوزن في نهاية الموسم ،حتى لو كانت على شكل قصاصات ولجأ صانعوا المعادن السومريون الى انتاج سبائك نحاسية تحتوي على حوالي ١٠ % من القصدير وتمثل هذه النسبة على الأرجح توازنا مع النحاس . (Lucas,2021,p3)؛(طه ،

١٩٩٢، ص ٣٨)

اطلق العراقيون القدماء على الفرن عدة تسميات مثل الكانون والتتور والكورة والاتون فكانت كلمة الاتون تطلق على الافران ذات الحرارة العالية ، (باقر ، ١٩٨٠، ص ٣٦) ، أي ان هناك افران معدة للصهر فتوصف بأنها من النوع الكبير وتكون مثل هذه الافران مشيدة وذات باب وفتحات وعيون معدة لصهر المعادن واذابة الزجاج ، وتحتوي هذه الافران على فتحات من الأسفل حيث يمكن إضافة الوقود وكان بها فتحات جانبية متعددة تسمح للتيار الهواء وبالتالي ترتفع درجات الحرارة ويكون الاحتراق اعلى ، أصبحت الافران في الالف الثالث قبل الميلاد أطول يصل الارتفاع الى ١٠٠ سم وكانت على شكل منزل تم الاحتفاظ بالوقود على داخل القاعدة المستطيلة للفرن ، وضيفت فتحات تهوية على شكل نوافذ الى جوانب الافران على شكل منزل من اجل تعزيز تدفق الهواء ، بدأت الافران الأكبر حجما في الظهور في سوسة في بداية الالف الثالث قبل الميلاد وكانت هذه الافران ذات تصميم دائري وتعلوها قبة وكان

الارتفاع الافران يزيد عن ٢٠٠ سم ويقدر أنها وصلت الى درجات حرارة تصل الى ١١٠٠ درجة مئوية ، ووجد رواسب كربونات الكالسيوم داخل فرن في خفاجي بمنطقة ديالى في بلاد الرافدين هو دليل على أن هذا النوع من الافران يستخدم للصهر وليس لصنع الفخار، وكان كربونات الكالسيوم عامل تدفق شائع الاستخدام على شكل حجر جيرى يستخدم في صهر النحاس لتسهيل عزله ، وعثر على نوع آخر من الافران الكبيرة يعود تاريخه الى حوالي ٣٠٠٠ قبل الميلاد وهو فرن أرضية العين المعروف في بلاد الشام وشمال بلاد ما بين الرافدين ،بنى هذا الفرن على أرضية وبحفرة مركزية كبيرة تعرف باسم العين ورغم سهولة بناء هذا النوع من الفرن الا ان تصميمه لم يكن كافيا لتحقيق درجة عالية كافية لصهر النحاس ، ويرجح ان هذا النوع من الافران كان يستخدم للتدخين النحاس وليس للصهر ، ولتحقيق درجات الحرارة العالية المطلوبة لصهر النحاس ظهر تصميم اخر وهو فرن التكديس رصفت عناصر الفرن المتعددة رأسيا فوق بعضها البعض ليصل ارتفاعها الى ارتفاع المنزل وقد تأكد استخدام هذه الافران لصهر النحاس من خلال رواسب النحاس من الملاكيت التي عثر عليها في قاع فرن حفر في خربة الجارية واستخدم في فرن التكديس منفاخا في الأسفل لتأجيج اللهب وتحقيق درجات حرارة عالية ، وثق استخدام المنفاخ منذ الالف الثالث قبل الميلاد عندما تلقى صناع نحاس من لارسا لجلد ماعزين استخدم لصناعة منفاخ الفرن ويكشف لوح اخر عن توصيل أنابيب بالمنفاخ لتوجيه اللهب من القصب الى داخل الفرن ،وكانت تصنع كريات النحاس داخل بوتقات وهذه صنعت من الطين ، وتتطلب صناعة النحاس لها مستداما ومتحكما فيه وقد تم تسجيل أهمية النار ودرجة حرارة في النصوص المسمارية حيث يذكر النص

"عندما تشتعل النار أن تكون نارا جيدة ، وليست نارا دخانية او شرسة ، ويذكر نص أيضا أن تكون نار الفرن يجب ان تستمر لمدة تتراوح بين اربع الى عشرة أيام ، وكان الوقود المستخدم في الافران الشجيرات المجففة "ويوجد نص يذكر استخدام خشب التوت . Hauptmann, 2014, p 91-105 (Luca,2021,P5;)

التبادل الثقافي والدين:

تتجلى التأثيرات الرافديني بوضوح في الاختام الخليجي، ويعد الامر هذا الامر من البديهيات نظرا لدور دلمون في مجمل التراث الرافديني الذي كان بمنزلة الحجر الأساس الذي استقى منه فن الاختام الدلموني عناصره الأساسية ، وهي من هذا المنظور لا تختلف عن كثير من الحضارات المجاورة لها التي تنظر الى فن الاختام الرافديني على انه المؤثر الرئيس لهذا الفن في عموم الشرق الأدنى القديم والمنبع الاول له ، ومع هذا التأثير اله الواضح الا ان كان لمبدأ الانتقاء في اختيار عناصر الصور التي تظهر على الاختام فاننتقت منها موضوعات معروفة في اختام كل من عصر

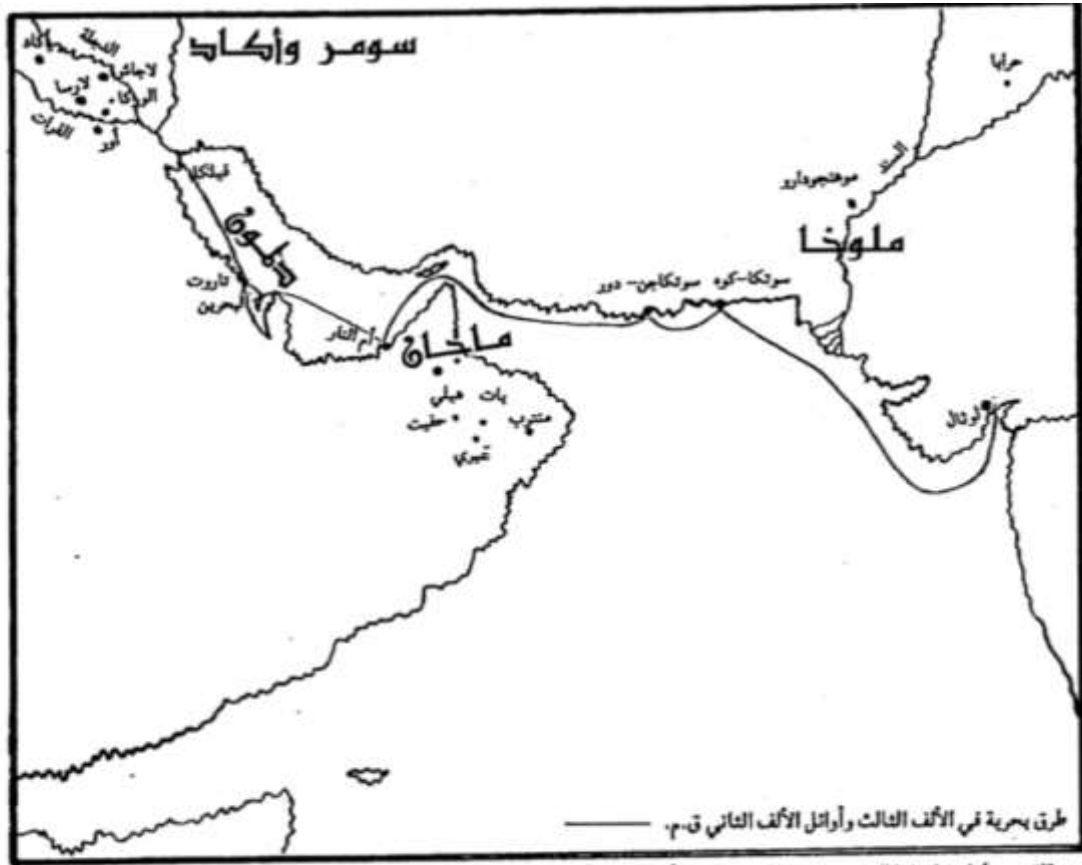
السلالات المبكرة والعصر الاكدي وسلالة اور الثالثة وحتى ما استمر منها في العصر البابلي القديم ، مثل مشاهد التعبد بتقديم لأله أو ملك والمثول في حضرته ومشاهد الصراع بين الالهة او الابطال او الحيوانات الأسطورية ، كذلك صورة الرجل الثور والتاج الإلهي ذي القرون وغيرها من العناصر التصويرية الرافدني . (بيبي ، ، ١٩٨٥ ، ص ١٧٢) كما ثبت تأثير دلمون بالحضارات السومرية حيث وجدت اثار سومرية في دلمون ومجان حيث وجدت رموز الاله شمش على اختام دلمون مع اجراء بعض التعديلات على بعض النماذج ، (بوشهري ، ١٩٨٥ ، ص ١٩٥)

وفي دراسة عن الهة دلمون وعلى ما تم اكتشافه من كتابات مسمارية في كل من دلمون وفليكا ذكرت الهة دلمون وهي الهة بالأصل الهة رافدينية وهذه النصوص تذكر منذ عهد سلالة اور الثالثة عبد كل من الاله انزاك وقرينته ميسيكلاك او نيسيكلاك في دلمون وان هذا الثنائي كانا في فترة من فترات مرادفين لكل من انكي وزوجته دمجال ، وكان الاله انزاك المسؤول عن النخيل حيث ظهر على حجر الاختام المنبسطة والاسطوانية ،

كذلك شير الأدلة الأثرية إلى أن العلاقة بين بلاد الرافدين ودلمون لم تكن مجرد تجارة للبضائع، بل كانت تبادلاً ثقافياً ودينيًا ساهم في نقل الأفكار والرموز بين المنطقتين. فقد أظهرت القطع الأثرية من جزيرة تاروت، التي كانت مركزاً لصناعة الأوعية الحجرية اللينة في منتصف الألفية الثالثة، تأثيراً رافديني واضحاً في تصميمها وأسلوبها الفني. على سبيل المثال، التمثال القائم لرجل عارٍ يرتدي حزاماً ثلاثياً يعكس الطابع الفني لبلاد الرافدين في وضعية اليدين وتفاصيل الجسد، بينما تحمل نسب الرأس وأذناه سمات محلية من سوسة، مما يدل على مزج التقاليد الفنية بين بلاد الرافدين ودلمون. كذلك، تمثال الشخصية الصغيرة الجالسة من حجر اللازورد يشير إلى انتقال التقاليد الدينية المرتبطة بتمثيل النذر الرافدينية إلى دلمون، بينما يمثل رأس الثور من معبد باربار رمزاً دينياً وفنياً مشتركاً بين المنطقتين. علاوة على ذلك، يظهر الفخار بلاد الرافدين الفاتح في قلعة البحرين وجزر أم النار وتل أبراق كيف وصلت المنتجات الدينية والثقافية والمادية من بلاد الرافدين إلى دلمون، سواء لأغراض الاستخدام اليومي أو ضمن الطقوس والطقوس الجنائزية. ويشير وجود مراكز تجارية وقبور جماعية مزودة بفخار بلاد الرافدين إلى أن هذه العلاقات كانت جزءاً من شبكة واسعة من التبادلات الاقتصادية والدينية والثقافية بين المجتمعات الساحلية ودول الموانئ في الخليج العربي وبلاد الرافدين، باختصار لم يكن الاتصال بين بلاد الرافدين ودلمون مجرد تبادل للبضائع، بل كان حواراً حضارياً ديناميكياً، ساعد على انتقال الرموز الدينية، والتقنيات الفنية، والعادات الثقافية بين المنطقتين، ما يعكس الترابط الاجتماعي والديني والاقتصادي في الألفية الثالثة قبل الميلاد

الخاتمة:

أسهمت شبكات التجارة البحرية التي نشأت في الخليج العربي خلال نهاية الألف الثالث قبل الميلاد في إحداث تفاعل حضاري واسع بين مناطق متعددة، إذ تشير الأدلة الأثرية المكتشفة في بلاد الرافدين وشبه الجزيرة العربية ودلمون إلى وجود تجارة بعيدة المدى تجاوزت حدود الخليج العربي. وقد لعبت هذه التجارة دورًا أساسيًا في ربط الاقتصادات والحضارات الناشئة في بلاد الرافدين ووادي السند ومجان ودلمون وعيلام، ولم يقتصر تأثيرها على تبادل السلع والمواد الخام فحسب، بل امتد ليشمل انتقال الأفكار والمعتقدات والأنماط الفنية والمعمارية. ويتجلى هذا التبادل الثقافي بوضوح في تشابه الأختام الأسطوانية، والأواني المصنعة، إضافة إلى التقارب في أساليب بناء المعابد، مما يعكس عمق العلاقات الحضارية الناتجة عن هذه الشبكات التجارية.



مستقاة من : سمان وفان نظام المحمود وزارة الإعلام والثقافة، سمان، ١٩٧٩، ص ١٣.

المصادر:

اولا: المصادر العربية :

الهاشمي، رضا جواد. (١٩٨٠). مدخل لآثار الخليج العربي منذ أقدم الأزمنة حتى التحرير العربي. بغداد.

الهاشمي، رضا جواد. (١٩٨١). الملاحاة النهرية في العراق القديم. مجلة سومر، عدد ٣٧. الهاشمي، رضا. جواد. (دون تاريخ). المقومات الاقتصادية لمجتمع الخليج العربي القديم. مجلة النفط والتنمية، ٧٨.

طه، منير يوسف. (١٩٩٢). حضارات الخليج العربي وعلاقتها بالأقطار المجاورة. مجلة آفاق عربية، (١٧). بغداد.

المتوالي، نواله أحمد محمود. (١٩٩٤). مدخل في دراسة الحياة الاقتصادية لدولة أور الثالثة في ضوء الوثائق المسمارية المنشورة وغير المنشورة (أطروحة دكتوراه غير منشورة). جامعة بغداد

الصفدي، هيا بدر الدين. (١٩٩٥). الآلهة في دلمون في ضوء النصوص المسمارية، البحرين.

آل ثاني، هيا علي جاسم. (١٩٩٧). الخليج العربي في عصور ما قبل التاريخ. القاهرة.

بيبي، جيوفري. (١٩٨٥). البحث عن دلمون (ترجمة أحمد عبيد). قبرص.

باقر، طه. (١٩٨٠). مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة. بغداد.

باقر، طه. (١٩٨٠). من تراثنا اللغوي. بغداد.

بوشهري، علي أكبر حبيب. (١٩٨٥). دراسة في الأختام الدلمونية السومرية (جاءوا من دلمون وفيها تعلموا الكتابة). مجلة الوثيقة، ٤(٧). البحرين.

رشيد، فوزي. (١٩٩٨). ترجمات لنصوص ملكية سومرية. بغداد.

ساكنز، هاري. (٢٠٠٠). الحياة اليومية في العراق القديم: بلاد بابل وآشور (ترجمة كاظم سعد الدين). بغداد.

ثانيا : المصادر الأجنبية:

- Crawford, H. (2005). Mesopotamia and the Gulf: The history of a relationship. Iraq, 67(2), 1–12.

-Edens, C. (1992). Dynamics of trade in the ancient Mesopotamian “world system.” American Anthropologist, 94(1). 118–139.

-Hauptmann, A. (2014). Archaeometallurgy. Springer.

-Kramer, S. N. (1963). The Sumerians: Their history, culture, and character. University of Chicago Press.

-Lucas, B. C. (2021). Bronze metallurgy (5300–1500 BC): Archaeological and cuneiform textual evidence. Archaeological Discovery. 9(3), 1–15.

- Nayeen, M. A. (1992). Bahrain and the Dilmun civilization. Ministry of Information. Manama.
- Oppenheim, A. L. (1954). The seafaring merchants of Ur. Iraq.16(1). 6–17.
- Potts, D. T. (1994). Mesopotamia and the East: An archaeological and historical study of foreign relations ca. 3400–2000 BC. Oxford University Press.
- Rice, M. (1994). The archaeology of the Arabian Gulf: c. 323–500 BC. Routledge.
- Staples, E. (2020). Innovations in early maritime technology in Mesopotamia and the Arabian Gulf. Social Science Quarterly. 101(7). 2544–2545
- المصادر العربية المترجمة الى اللغة الإنكليزية:
- Al Thani, H. A. J. (1997). The Arabian Gulf in prehistoric ages. Cairo.
- Baqir, T. (1980a). An introduction to the history of ancient civilizations. Baghdad.
- Baqir, T. (1980b). From our linguistic heritage. Baghdad.
- Bibby, G. (1985). In search of Dilmun (A. Ubaid, Trans.). Cyprus.
- Boushehri, A. A. H. (1985). A study of the Dilmun-Sumerian seals: They came from Dilmun and learned writing there. Al-Wathiqah Journal, 4(7).
- Al-Safadi, H. B. A. (1995). The gods of Dilmun in the light of cuneiform texts.
- Al-Mutawalli, N. A. M. (1994). An introduction to the study of the economic life of the Third Dynasty of Ur in the light of published and unpublished cuneiform documents (Unpublished doctoral dissertation). University of Baghdad.
- Al-Hashimi, R. J. (1980). Introduction to the archaeology of the Arabian Gulf from the earliest times to the Arab liberation. Baghdad.
- Al-Hashimi, R. J. (1981). River navigation in ancient Iraq. Sumer Journal, (37).
- Al-Hashimi, R. J. (n.d.). The economic foundations of ancient Gulf society. Oil and Development Journal, (87).
- Rashid, F. (1998). Translations of Sumerian royal inscriptions. Baghdad.
- Sachs, H. (2000). Everyday life in ancient Iraq (Babylonia and Assyria) (K. Saad al-Din, Trans.). Baghdad.
- Taha, M. Y. (1992). Civilizations of the Arabian Gulf and their relations with neighboring regions. Afaq Arabiya Journal, (17), Baghdad.